من شؤون المسلمين والعالم

السادات ومنحدر السياسة العربية

أ. نبيل شبيب

يبدو أنّ الرئيس السادات مصممّ على أن يكون السبّاق دائماً في المنحدر الذي تهاوت فيه السياسات العربية هذه الأيام

وكما أنّ واقع هذه السياسات المؤلم لا يبرّر ما أقدم عليه من خطوات مهينة خطيرة ، فإنّ خطواته لا يبرّر لسواه الاستمرار في السير على طرق مشابهة ، بدرجات متفاوتة ، لا تكاد تختلف المقاصد والوسائل فيها إلاّ اختلافاً ظاهرياً نسبيا

والشواهد كثيرة .. من الأوضاع السياسية الداخلية ، ومن الممارسات السياسية الخارجية ، ومن مجـــال قـــضية فلسطين (المشتركة) بصورة خاصة

– أنظمة الحكم القائمة في بلادنا العربية الإسلاميّة ، قائمة على الديكتاتورية الفردية أو العسكرية أو الحزبيـــة أو العشيرية .. ونظام حكم السادات يتجاوزها في درجة التبجّح باستبداد الفرد ، وتزييـــف إرادة الـــشعب ، وجمـــع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية .. والإعلامية بين يديه مباشرة أو تسلّطاً ، وفي نشر المحـــسوبية علنـــاً ، وفي توزيع المنافع على الأقرباء والأتباع جهاراً ، وفي تقييد الحريات تحت غشاء رقيق مفضوح من القانون .. لا يقـــف في ذلك كلّه أمام حرمة مسجد ولا جامعة ولا أمام حصانة صحافة أو نيابة ..

– وأنظمة الحكم القائمة في بلادنا العربية الإسلاميّة ، لا تكاد تخفي ارتباطاتها بالشرق أو الغرب على مـــستويات اقتصادية وسياسية وعسكرية .. إلاّ في بعض البيانات والتصريحات ، وأغلبها للاستهلاك الداخليّ .. ونظـــام حكـــم السادات يستقبل القوات الأمريكية جهاراً نهاراً ، ويدعو أوروبا الغربية إلى (تسهيلاته) العسكرية علناً ، ويحثّ الغرب المرة بعد الأخرى على استخدام القوة في منطقة الخليج ، ويعد بالعون المباشر في أية ضربة عسكرية غربية ضدّ إيران ، ويحوّل مهمة الجيش المصري من الدفاع عن أرض مصر وفلسطين بصورة خاصة .. إلى مهمة الاستعداد لخوض أيـــة حرب غربية ضدّ النفوذ الشرقي في أية أرض قريبة أو بعيدة .. باستثناء أرضنا المحتلة منذ بضع وثلاثين سنة

– وأنظمة الحكم في بلادنا العربية والإسلامية على استعداد للتعاون مع دولة غربية أو دولة شرقية لتحقيق مصالح محلية في إطار نزاع ما مع دولة مجاورة .. من الدول (الشقيقة) ، لا تعدم الأمثلة العديدة على ذلك بصور متفاوتة مـــا

بين الصحراء الغربية وبين القرن الإفريقي المسلم وبين كشمير .. ولكن يبقى من مـــاء الوجـــه بعـــضه ، فتـــوارى الممارسات القائمة وراء ستار رقيق ومبرّرات ملتوية .. أما نظام حكم السادات فيمـــضي في ممارســـاته الـــسياسية الخارجية على سبيل المثال إلى درجة أن يستغرب علناً من فرنسا ألاّ تقدم على خطوة عسكرية عاجلة في إفريقيا –بعد كلّ ما مهّده لها– بحجّة تشاد .. بل وإلى مقايضتها للوقوف معها ضدّ ليبيا في القارة الأفريقية ، على أن تقف فرنسا موقفاً أقرب إلى خطّه هو من دون خط بقية الحكومات العربية في قضية فلسطين

– وقد تسمع من أنظمة الحكم القائمة في بلادنا العربية الإسلاميّة بياناً يدعو إلى تحرير (نصف) القدس ، فيبـــادر نظام حكم السادات إلى تكرار التأكيد على بقاء (وحدة القدس) .. وقد تسمعها تتحدّث عن انسحاب (مرجوّ) من نصف الأرض ممّا احتُلّ عام ٦٧م ، فيبادر هذا إلى تثبيت أن (كامب ديفيد) هو الأساس ، بما فيه من حـــدود آمنـــة مضمونة معترف بها .. وقد تسمعها تقول بقيام دويلة فلـــسطينية في أرض (يتفـــضّل) اليهـــود فينـــسحبون منـــها (مشكورين) ، فيبادر هو إلى تأكيد السر في مخطط (الحكم الذاتي) المقيّد سلفاً ، مهما حال دونه من عراقيل ووجـــده من إجماع على الرفض .. وقد تلجأ هي إلى إشارة لـ (تعبئة) تسمّيها (جهاداً) ، فيسارع هو إلى عقـــد المزيـــد مـــن الاتفاقيات التجارية والاقتصادية والثقافية مع اليهود ومع كلّ من يتعاون مع اليهود في العالم ..

أيّ منحدر هذا الذي انحدرت فيه السياسات العربية هذه الأيام .. وأية هاوية وصلت إليها سياسة الـــسادات في هذا المنحدر ؟!

الساسة الصهيونيون يتسابقون –وهم على أبواب انتخابات نيابية– لتثبيت مواقف التصلّب والعناد ، والتمـــسّك بكلّ ما تمّ اغتصابه إلى الآن .. وهم يدركون أن اليهود الناخبين يريدون ذلك ، والساسة العرب يتسابقون –وهم لا يعرفون انتخاباتٍ حقيقيةً أصلاً– على تثبيت مواقف التنازل والتخلّي على درجات ، ويزيدون عمق الهوة الفاصـــلة بينهم وبين الشعوب ، ويعلمون أنّ العرب المسلمين لا يقبلون بغير تحرير أرض الإسلام كلّهـــا ، وإنهـــاء الوجـــود الصهيوني الباطل فيها بكلّ أشكاله وصوره

أيّ منحدر هذا ؟!

لقد كان المستعمرون فيما مضى يبحثون عمّن يتعاون معهم من أبناء الشعب فلا يجدون من يبيع وجدانه إلاّ سرّاً، وبعد عناء كبير ، وبعد أساليب الإغراء بألوان المكاسب الدنيوية .. واليوم يتسابق مـــن الحكـــام في أرض العـــرب المسلمين من يتسابق على تشجيع الدول الاستعمارية للقيام بخطوات أشدّ صلابة وعنفاً ، وأبعد مدى وخطراً ممّا تفعل أصلاً ، وفي مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ويعدون أن يكونوا هم السبيل إلى تنفيذ ذلك مباشرة ما بين إفريقيا حول تشاد ، وبين أرض الخليج ومياهه .. وحتى أرض الإسراء والمعراج

أيّ منحدر هذا ؟!

أليس من سبيل لوحدة الكلمة (العربية) والسلاح العربيّ .. كما اتحدت (الكلمة والسلاح) مرّة واحدة في تاريخ العرب الحديث .. ضدّ الدولة العثمانية ، فوقف العرب بجيوشهم مع جيوش بريطانيا وفرنسا ؟! ..

هل أصبح دور الحاكم (العربي) أن يوجّه السلاح (العربي) إمّا إلى صدور الــشعب في الــداخل ، أو إلى تعزيــز الانقسامات والنــزاعات بين الحكام في الخارج ، في خدمة مصلحة ذاتية أو أجنبية ؟ ..

هل لنا في مثل هذا الواقع المهين الذليل أن نضع أملاً إلاّ في الشباب المسلم ما بين الدار البيضاء والفيليــبين .. أن يبصر هو الواقع على حقيقته ، وأن يعي هو دوره في هذا العصر لاقتلاع الفساد والهوان من الجذور ، وللانطلاق بقوة الإيمان وصلابة العقيدة عاملاً مجاهداً باذلاً مضحياً لإقامة الواقع الإسلاميّ الكريم المنشود ؟ ..

إنّ المنحدر الذي تمضي فيه السياسات العربية ويتسابق عليه رجالها ، هو الذي يعزل هؤلاء عن الشعوب ، وهــو الذي يفقدهم ثقة المسلمين بهم ، وهو الذي سيؤدي بهم عاجلاً أو آجلاً إلى هاوية لا يستطيعون النهوض منها .. أمّا الشعوب فستنهض على كلّ حال بعون الله ، وستأخذ زمام أمورها بأيديها وتستعيد قيادة نفسها بنفسها ، وترتفــع بواقعها وواقع بلادها إلى العلياء من جديد حاملة رسالة الحقّ والخير للبشرية ، ومحقّقة ما تطمح إليه من حياة حــرّة عزيزة ووحدة راسخة وتقدّم حقيقيّ سليم